شرح العقيدة الواسطية

الدرس السابع عشر (الأخير)

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعة: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ)**

من أصول أهل السنة والجماعة التي يؤمنون بها ويعتقدونها: التصديق بكرامات الأولياء.

والكرامة: هي أمرٌ خارق للعادة يجريه الله تعالى على يدِ وليٍّ من أوليائه.
وأمّا الوليّ فقد عرّفه ربنا تبارك وتعالى في قوله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} إذن فالوليّ هو الذي يؤمن بالله تبارك وتعالى ويتق الله، وهذا يكون مطيعاً لله تبارك وتعالى.

كيف تكون التقوى؟ بفعل ما أمر الله تبارك وتعالى به واجتناب ما نهى الله تبارك وتعالى عنه، فإذا كان المرء كذلك؛ كان ولياً لله تبارك وتعالى، وهذا يكون بفعل الواجبات وفعل المستحبات أيضاً، "ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه"، فكثرة النوافل تُقرّب العبد إلى الله تبارك وتعالى وتُصيّره ولياً من أولياء الله تبارك وتعالى، فمن يتق الله تبارك وتعالى ويكون مؤمناً؛ يكون وليّاً لله تبارك وتعالى.

هؤلاء الأولياء لهم كرامات، يمنّ الله تبارك وتعالى عليهم ببعض الأفعال أو الأشياء التي تُعتبر خارقة للعادة المعروفة كوناً؛ مثلاً البحر لا يستطيع أحد من الناس أن يمشي على الماء؛ ولكن العلاء بن الحضرمي مشى على الماء بجنده وهذه كرامة من الله تبارك

وتعالى للعلاء بن الحضرمي، وهي خارقة للعادة الكونية، فالعادة الكونية أنّ الناس لا يستطيعون المشي على الماء.

وكذلك من العادة أنّ الناس إذا خرجوا في ظلمة وليس معهم نور يبقون في الظلمة ولا يرون شيئاً، ولكن اثنين من أصحاب النبي ﷺ كانا عنده في البيت وعندما انتهوا من مسامرة النبي ﷺ خرجا في ظلمة دامسة، فذهبا ليرجعا إلى بيوتهما، وهما في الطريق أضاءت عصا كلّ واحد منهما؛ أضاءت عصا واحدة في البداية ثم لمّا تفرقا أضاءت عصا الآخر، والحديث موجود في "صحيح البخاري"، وهذه كرامة من كرامات الأولياء.
فأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الكرامات لورود الأدلة الشرعية على ذلك، والأدلة كثيرة، ذكر المؤلف منها شيئاً وستأتي إن شاء الله، وجمع الكثير منها اللالكائي صاحب كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، في كتاب اسمه: "كرامات الأولياء" وقد جمع من ذلك الشيء الكثير من كرامات للأولياء مذكورة أدلتها في الكتاب وفي السنة وآثار عن أصحاب النبي ﷺ وعمن بعدهم من التابعين ومن اتَّبَعهم بإحسان.

وخوارق العادات: هي الأشياء التي تخرج عن العادة المألوفة والمعلومة، أي: العادة الكونية.
قال: (فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ)
يعني هذه العادة التي تُخرق إمّا تكون في العلوم أو في المكاشفات فيحصل للإنسان من العلوم مالا يحصل لغيره، ويحصل له أيضاً كشف ورؤية لأشياء لا تحصل لغيره، كما حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رأى جيش سارية، وقال له: يا ساريةُ الجبل: يعني عليك بالجبل، خذ الجيش إلى الجبل كي يحميهم من أذى العدو، فسمعه سارية؛ ومال بالجيش إلى ناحية الجبل، هذه مكاشفة؛ كشف الله تبارك وتعالى لعمر

عن حال ذاك الجيش فصرخ عمر لسارية: يا ساريةُ الجبل([1]).

ومعنى قوله: (وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ) يعني أيضاً الكرامة تكون في القدرة على الشيء والتأثير فيه؛ كما وقع لمريم أمّ عيسى عندما أنجبت هزّت بجذع النّخل وتساقط الرّطب عليها؛ هذه كرامة من كراماتها، فالمرأة التي تكون في المخاض أو أنجبت حديثاً تكون في حالة من الضعف شديدة- مع ضعف المرأة أساساً، وهي في هذه الحال تكون أشد ضَعفاً-؛ ومع ذلك قال الله تبارك وتعالى لها: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} هذا الهزّ بجذع النخلة بالنسبة لها كرامة من كراماتها؛ لأنّ هذا الهزّ حقيقة لا يُؤثر شيئاً بسبب ضَعفها ولكنه كرامة من الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **(كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا)**

يعني كما ورد عن سالف الأمم، كالذي حصل مع أصحاب الكهف؛ هذه أيضاً من الأمور الخارقة للعادة.

قال: **(وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ)**

أي: عن مقدمة هذه الأمّة.

قال: **(مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**

أي: هذه الكرامات موجودة في هذه الأمّة إلى يوم القيامة، وقد ذكر اللالكائي رحمه

---

[1] قال الشيخ الالباني رحمه الله في الصحيحة: فتبين مما تقدم أنه لا يصح شيء من هذه الطرق إلا طريق ابن عجلان وليس فيه إلا مناداة عمر " يا سارية الجبل " وسماع الجيش لندائه وانتصاره بسببه.

ومما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر، وليس ذلك بغريب عنه، فإنه " محدث " كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس فيه أن عمر كُشف له حال الجيش، وأنه رآهم رأي العين. انتهى المراد، فالرواية التي فيها الرؤية لا تصح فتنبه.

الله في كتابه "كرامات الأولياء" مجموعة من الكرامات، ومما ذكر قصة مريم: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} هذه من كراماتها أنّه كان كلّما دخل عندها وجد رزقاً من الله سبحانه وتعالى ومن غير كسب، قال ابن عباس رضي الله عنه: (وجد عندها الفاكهة الغضّة حين لا توجد الفاكهة عند أحد، فكان زكريا يقول: {يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}) وذكر صوراً كثيرة في كتابه ذاك، من أراد ان يتوسع يراجعه.

والذين أنكروا الكرامات وخالفوا هذا الأصل من أهل البدع هم: المعتزلة، ووافقهم ابن حزم؛ قال المعتزلة: لا تُخرق العادة لأحدٍ إلّا لنبيّ، وكذّبوا بما يُذكر من خوارق السحرة والكهّان وبكرامات الصالحين، وحجّتهم العقل، وهذه أمور بما أنّها ثبتت واقعياً وثبتت بأدلة الكتاب والسنّة؛ فلا يُرجع فيها إلى مسائل العقل؛ فإنك لو أخذت تُشاد وتخاطب شخصاً بالمسائل العقلية ما تذكر له شيئاً إلّا وهو يرد عليك شيئاً آخر، وتذكر غيره ثم هو يرد عليك بشيء ثالث؛ ولا ننتهي، فالقضية أن مخاطبتهم تكون بالكتاب والسنة وبالواقع المحسوس، فنحن عندنا قرآن وعندنا سنة وعندنا واقع محسوس في ذلك؛ فلا يُنكر مثل هذا الأمر.

وخالفت أيضاً في ذلك الصوفية فغلت في مسألة كرامات الأولياء؛ غلوا في ذلك حتى صاروا يعدّون أفعال أولياء الشياطين من الكرامات.

ونحن لا بدّ أن نُفرّق بين خارق العادة الذي يكون على يد وليّ الشيطان، وخارق العادة الذي يكون على يد وليّ الرحمن.

وذلك بأن تنظر إلى أفعال الذي صدرت منه هذه الخوارق، فإن وجدته على الكتاب والسنة؛ فاعلم أنّها كرامة، ثم إن صاحب الكرامة من أولياء الرحمن لا يستغل هذه

الكرامة لإخضاع الناس له واعتقادهم فيه؛ بل هو يمنعهم من ذلك ويحثّهم على اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، أمّا الخوارق التي تحصل على يد أولياء الشياطين؛ فهؤلاء يكونون بعيدين جداً عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ ويستغلون هذه الكرامات في إخضاع الناس وطاعتهم لهم؛ هذا الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا)**

هذا منهجهم؛ منهج أهل السنة والجماعة: هو اتباع طريق النبي ﷺ، لا يحيدون عنه يمنة ولا يسرة، سواءً كانت في الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام وما شابه، أو الأعمال الباطنة كأعمال القلوب- الخوف والرجاء والحب والتعظيم.. إلخ-؛ كلّ هذا هم فيه متّبعون لآثار النبي ﷺ، يحرصون على معرفة السنّة وتعلمها، وعلى معرفة الصحيح من الضعيف منها، وعلى العمل بها واتباع النبي ﷺ بالاقتداء به.

قال: **(وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ)**

القضية عند أهل السنة والجماعة قضية اتباع وليست قضية ابتداع، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم)، عندما نريد أن نعتقد في مسألة الأسماء والصفات نجد أنّ السلف رضي الله عنهم يثبتون لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات في الكتاب أو في السنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل؛ فنحن نتبعهم في ذلك، ولا نخالف.

لا يأتينا شخص فيقول: أنا أثبت هذه الصفة وأنفي هذه الصفة بناء على اجتهاد من عندي؛ لا، لامجال للاجتهاد هنا، انتهينا؛ الأمور قد بُيّنت والحقّ قد ظهر فلا داعي

لإعمال جهدك في هذا الأمر فقد كُفيت؛ كفاك أصحاب النبي ﷺ بيانَ الحقِّ من الباطلِ، وأظهروا لك الأمور فلِمَ تدخل نفسك في أمور ليست مطلوبة منك، فما عليك إلّا اتباع ما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه أصحابه الكرام، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} إذن: القضية قضية اتباع.

ما معنى الاتباع؟ هم مشوا في طريق تمشي خلفهم، هذا معنى الاتباع، فإذا قالوا قولاً قلنا به، إذا فعلوا فعلاً فعلناه؛ هذا معنى الاتباع.

(وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) للآية التي ذكرنا، فالمسألة مسألة اتباع.

وعندنا أيضاً حديث عن النبي ﷺ يقول فيه عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ"، وفي حديث آخر قال فيه النبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟، قال" :الجماعة"، وفي رواية: "ما أنا عليه وأصحابي"، وكما ذكرنا الأثر الذي جاء عن ابن مسعود؛ قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) وكما جاء عن أكثر من واحد من السلف قولهم: (اتبعوا آثار من سلف)، وهذا كثير في كتب أهل السنة والجماعة؛ كـ "شرح أصول السنة" للالكائي، و"شرح السنة" للبربهاري، و"الشريعة" للآجري، و"الإبانة" لابن بطة، و"أصول السنة" للإمام أحمد، وغيرها من كتب السنة كثيرة، فيها من مثل هذا الكلام.

والمهاجرون هم الصحابة الذين هاجروا مع النبي ﷺ، وهاجروا من بلدانهم إلى المدينة، والأنصار هم: الذين نصروا النبي ﷺ وآزروه.

قال: (وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيثُ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)

أي: الزموا سنتي، الزموا طريقتي، الزموا ديني، الزموا هديي الذي أنا عليه، والزموا سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، من هم الخلفاء الراشدون؟ هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

هؤلاء هم الخلفاء الراشدون بدليل أنّ سفينة رضي الله عنه- وهو صاحب النبي ﷺ- روى حديثاً أنّ الخلافة من بعده ثلاثون سنة، والخلافة استمرت ثلاثون سنة على عهد هؤلاء الأربعة، فهؤلاء الأربعة هم المقصودون بالخلفاء الراشدين، فحثّ النبي ﷺ على اتباع سنته وسنة هؤلاء الأئمة؛ إذن هناك سنة لابد من اتباعها مع سنة النبي ﷺ وهي سنة أصحاب النبي ﷺ، فعندما لا توجد سنة عن النبي ﷺ؛ نأخذ بما فعله أصحاب النبي ﷺ، وعندما توجد سنة عن النبي ﷺ؛ ننظر أصحاب النبي ﷺ كيف فهموها وكيف عملوا بها؛ هكذا يكون الاقتداء في مثل هذا.

قال: (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)

أي: احذروا من محدثات الأمور؛ وهي المسائل المحدثة الجديدة في دين الله تبارك وتعالى، التي لا يدلّ عليها دليل لا من الكتاب ولا من سنة النبي ﷺ، هذه أمور محدثة؛ يعني: حصلت بعد أن لم تكن، ما جاءت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا عُرف دين على عهد أصحاب النبي ﷺ؛ فمن أين جاءت؟ فهي محدثة مبتدعة؛ فالنبي ﷺ قال: "وإياكم" فهذا تحذير، "إياكم" أي: احذروا من الوقوع في مثل هذا، ماذا نحذر؟ قال: "فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة"، وفي رواية" :وكلّ

ضلالة في النّار"، أي: الضلالة وصاحب الضلالة في نار جهنم- أعاذنا الله وإياكم من ذلك-؛ هذه البدع والمنكرات.

ما هي البدعة: أيُّ عبادة تتقرب بها إلى الله وليس عليها دليل من الكتاب والسنة ولم يكن عليها العمل عند السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فهي بدعة منكرة يجب عليك أن تحذرها وأن تبتعد عنها؛ هذا هو دين أهل السنة والجماعة؛ لخّصه المؤلف في هذه الكلمات: اتباع الكتاب والسنة على منهج سلف هذه الأمة، الذين هم أصحاب النبي ﷺ ومن اتبعهم بإحسان.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ)**
لا شك أنّهم يعتقدون هذا اعتقاداً جازماً؛ أنّ أصدق الكلام كلام الله تبارك وتعالى، ولن تجد كلاماً أصدق من كلام الله تبارك وتعالى.

قال: **(وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ)**
لن تجد طريقاً يوصلك إلى الله تبارك وتعالى، يوصلك إلى الفوز بالدار الآخرة؛ إلّا الطريق الذي كان عليه النبي ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر الآية: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} ثم خطّ ﷺ خطاً مستقيماً وخطّ على جنبي هذا الخط خطوطاً؛ ثم قال: "هذا سبيل الله".

أي: الصراط المستقيم، والصراط: هو الطريق، قال: (وعلى جنبتيه سبل) هناك قال: "سبيل" يعني: واحد؛ مفرد، وهنا قال: "سبل" وهي الطرق؛ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} إذن: فهناك طرق- وقد جاءت بصيغة الجمع- طرق مختلفة كثيرة تؤدي إلى الهاوية، والطريق الذي يوصل إلى

الجنّة هو طريق واحد، طريق مستقيم لاعوجاج فيه، الطريق الذي كان عليه النبي ﷺ، هذا هدي النبي ﷺ.

وتلك الطرق على كلّ منها شيطان يدعو إليها، ولكلّ منها داعٍ من الدعاة يدعو إلى هذا الطريق، فدعاة الضلال كثير وكثير جداً ودعاة الحق قلّة خصوصاً في زمننا، قال النبي ﷺ: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا"؛ الجهل عندما يعمّ ويطمّ يحصل الضلال والإضلال.

وهذا الحديث يُبين لنا قلّة العلماء، والعلماء طبعاً لا ينتهون لأنّ الذين يحملون راية الحقّ هم العلماء فلا يُمكن لجاهل أن يدعو إلى حقّ؛ لأنه يجهل الحقّ فكيف يدعو إليه، والنبي ﷺ قال: "لاتزال طائفة من أمتي على الحقّ ظاهرين"، إذن: لابد أن تبقى هذه البقية من العلماء لكنّهم قلّة.

والذين يكثرون هم رؤوس الجهل، رؤوس الضلال، فعندما نُحذرك من زيد وعبيد وعمرو وبكر؛ لا تقل: أكثرتم علينا من الكلام في الرجال وما أبقيتم أحداً، والفلسفة الفارغة التي نسمعها اليوم، هذا حديث النبي ﷺ قد أخبرك أنّ هذا العصر هو عصر الجهل، العصر الذي يكثر فيه دعاة الضلال؛ فكيف تفعل بعد ذلك؟

وذكر لك أن سُبل الضلال كثيرة، وعلى كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليها.

وفي حديث حذيفة لما سأل النبي ﷺ عن ذاك الخير: أبعده شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها".

هذه أحاديث النبي ﷺ؛ أين أنت منها؟ لا تحكم على المسائل بهذه الطريقة، انظر إلى: (قال الله) (قال رسول الله ﷺ)، تَعلّم منهج السلف رضي الله عنهم؛ ثم بعد ذلك

احكم على الناس بنفسك، وانظر من سار على الطريق ومن زاغ عنها، لا تتكلم بمجرد الهوى والجهل؛ ما أبقيتم أحداً، وما بقي لنا أحد، وكلام فارغ نسمعه من هنا وهناك.

قال المؤلف: **(وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ)**

هذه علامتهم التي يتميزون بها، لا يُعظّمون كلام أحدٍ من الخلق كائناً من كان إلّا كلام النبي ﷺ؛ لأنّه وحي من الله تبارك وتعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} إذن هو وحي من عند الله تبارك وتعالى، لذلك يُعظّمونه ويُقدّمونه على كلّ شيء، يُقدّمون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على قول أيّ أحدٍ وعلى عقل أيّ أحدٍ، ما عندهم تقديم العقل على النقل، عندهم تقديم النقل، يُعظّمون كلام الله، يُعظّمون كلام رسول الله ﷺ؛ لتعظيمهم لربّ العزة تبارك وتعالى، ولتعظيمهم للنبي ﷺ، يُعظّمون كلام الله ويُعظّمون كلام رسوله ﷺ فيُقدمون النقل على العقل لا العكس، مع اعتقادهم أنّ النقل الصحيح لا يمكن أن يخالف العقل الصريح، وهذا التناقض إن حصل إنّما يحصل في العقول الخربة، العقول المعوجة، هذه التي يحصل فيها تناقض مع أحاديث النبي ﷺ، ومع آيات كتاب الله تبارك وتعالى، أمّا العقل الذي نظُف من الهوى وخلُص من شائبة التفكير السقيم؛ فهذا الذي لا يتعارض مع أدلة الشرع.

قال: **(وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ)**

لا يسيرون خلف أي أحدٍ مسيرةً عمياء كما يفعل الإخوان وكما يفعل التبليغ ويفعل غيرهم؛ ما عندهم إمام إلّا محمد ﷺ، هذا هو الإمام المعصوم، غير هذا لا إمام، ليس عندهم ولاء وبراء إلّا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بعد ذلك عندهم علماء يسمعون لهم ما وافقوا الحقّ، وإذا خالفوا الحقّ؛ قالوا: أخطأتم ورددنا عليكم كلامكم، لا معصوم عندهم من الخطأ إلا النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)

لماذا؟ لأنّهم يُقدّمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كلّ شيء، يُعظّمون كتاب الله ويُعظّمون سنة رسوله ﷺ، هل يصحُّ بعد هذا أن تسمي أهل البدع والضلال أهل الكتاب والسنة؟ لا والله، ما يستحقون هذا، أيصحّ أن تسمي الأشاعرة من أهل السنة والجماعة وهم يصرخون وينادون ليل نهار بأنّ العقل مُقدّم على النقل، لا يصحّ مثل هذا أبداً، لا يصحّ مثل هذا من إنسان منصف عالم بما يقول.

قال: (وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الإِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ)

سمّوا أهل الجماعة لأنّهم مجتمعون لا يفترقون؛ لكنّهم لا يُقدّمون الاجتماع على السنّة كما يفعل أهل البدع، وكما ينادي بذلك حتى الجهال من أتباع أهل البدع؛ يقولون: يا شيخ لا تتكلم في الناس، لا تُحذّر من ضلالهم، لا تُحذّر من بدعهم، اتركهم ينشرون بدعهم وضلالهم كما يريدون من أجل الجمع.

أي: نعمل بقاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وهذه قاعدة فاسدة مفسدة.

هذه القاعدة تأتي على كلّ أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومع ذلك عندما تأتي لأتباع هذا الرجل الذي قعّد هذه القاعدة؛ يُقدّمونها على الكتاب والسنة، انظر هذه الحزبية الخبيثة، هؤلاء يُسمّون أهل سنة وجماعة؟! لا والله، لا يستحقون ذلك.

فنحن ندعوا إلى الجماعة، ندعوا الناس إلى أن يجتمعوا وأن يتآلفوا وأن يتحابّوا؛ لكن على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، هذا الاجتماع الذي ندعوا إليه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} الاعتصام بماذا؟ بحبل الله، ما قال: اعتصموا على قواعد حسن البنا، ولا قال: اعتصموا على قواعد محمد

إلياس، ولا اعتصموا على قواعد سيد قطب، قال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، ولاتفرقوا عن ماذا؟ عن كتاب الله وعن سنة رسوله ﷺ.

فمن خالف الحقّ وقعّد قواعد تُخالف الكتاب والسنة وأتى ببدع وضلالات تُخالف الكتاب والسنة؛ فقد فرّق الجمع وشتت جمع المسلمين؛ فوجب على أهل السنة أن يُبيّنوا عواره وأن يُظهروا ما عنده من ضلال لحماية دين الله تبارك وتعالى.

فلو سَكتُّ أنا وسَكتَّ أنت وسَكتَ الثالث؛ فمتى يَعرف الناس المُحقَّ من المُبطل، ومتى يعرفون الحقّ من الباطل، ومتى يعرفون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟!

فالاجتماع مطلوب والإتلاف مطلوب؛ لكن على الحقّ لا على غيره.

وقد كانت كلمة كفار قريش واحدة، وكانوا مؤتلفين مجتمعين على عبادة الأوثان، فجاء النبي ﷺ وفرَّق كلمتهم؛ هذا تفريق ممدوح أم مذموم؟ هذا تفريق ممدوح؛ لأنّ فيه دعوة إلى التوحيد، والمطلوب منهم جميعاً أن يجتمعوا على التوحيد.

فلمّا خَرَج البعض عن هذه الكلمة؛ كان هو المُفرّق لجماعة الناس التي كانوا مجتمعين عليها، فالاجتماع مطلوب ولكن على الحقّ، فإذن الدعوة إلى الحقّ والتمسك بالحقّ مُقدّم على الدعوة للاجتماع، الاجتماع مطلوب ولكن على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ، فمن ابتدع في دين الله بدعة؛ فقد فرّق الجماعة؛ فوجب التحذير منه وبيان حاله- وإن تعصب له من تعصب وإن انحرف معه من انحرف- فهذا ليس تفريقاً مني أنا عندما أبين الحقّ من الباطل؛ بل التفريق منه عندما ابتدع في دين الله بدعة خرج بها عن جماعة المسلمين؛ هكذا تُفهم الأمور وهكذا يُعرف الدين.

قال: **(وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ)**

يعني نفس القوم المجتمعين صاروا أهل جماعة.

ثم قال المؤلف: (وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ)
هذا أصل عند أهل السنّة والجماعة؛ الكتاب والسنّة وإجماع علماء الأمّة؛ لأنّ النبيّ ﷺ قال: "لا تجتمع أمتي على ضلالة"، هذا الحديث فيه خلاف لكن أقوى منه حديث: "لاتزال طائفة من أمتي على الحقّ ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ومن خذلهم حتى يأتي أمر الله"، فإذن لا يمكن أن يخفى الحقّ في زمن من الأزمان، فإذا اجتمعت الأمّة على شيء فهو حقّ ولابد.

قال: (وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ)

التي هي الكتاب والسنة والإجماع.

قال: (جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ)
أيُّ مسألة لها تعلق بالدين؛ فمقياسهم في معرفة أنّها حقٌّ أم باطل: إرجاعها وردّها إلى الكتاب والسنّة والإجماع، أيُّ مسألة تعبدية سواءً كانت من العبادات الظاهرة أو العبادات الباطنة، العبادات القولية أو العبادات الفعلية، كلّ العبادات، مقياسهم فيها هو كتب الله وسنّة رسوله ﷺ وإجماع سلف هذه الأمة وإجماع الأمّة.

قال: (وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَت الأُمَّةُ)
يعني: ما هو الإجماع الذي نستطيع أن نقف عليه وأن نعلمه؟

قال: هو إجماع السلف، إجماع القرون الثلاثة الأولى، والبعض قال إجماع الصحابة؛ لأنّه كان من الممكن ضبطه، فالعلماء لم يكثروا للدرجة التي لا يمكن معها معرفة أقوالهم، بخلاف العصور التي بعد ذلك فقد انتشر العلماء وتفرقوا في الأرض وكثروا جداً بحيث

صار من العسير الوقوف على أقوالهم في المسائل؛ لذلك قال: الاجماع الذي ينضبط هو إجماع السلف رضي الله عنهم.

قال: **(فَصْلٌ: ثُمَّ هُم مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ)**

مع هذه الأصول التي ذُكرت وهي أصول أهل السنة والجماعة التي من خالف في أصل منها صار مبتدعاً ضالاً مفرقاً لجماعة المسلمين؛ قال:

(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)

أي: كما أمر الله.

أولاً: المعروف: كلّ ما أمر به الشرع فهو معروف، والمنكر: كلّ ما نهى عنه الشرع فهو منكر.

وأدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} هذا أمرٌ من الله تبارك وتعالى، وقال النبيُّ ﷺ: "لتأمرن بالمعروف ولتنهوّن عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم"، فهنا أمرٌ بماذا؟ أمرٌ بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، والأدلة على ذلك كثيرة؛ فهذا من الأصول عند أهل السنة والجماعة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يُبطله قاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، فإذا عذر بعضنا بعضاً في المنكرات التي وقعنا فيها وخالفنا فيها الحقّ؛ إذن أين يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إذا عذر بعضنا بعضاً في ترك الواجبات التي شرعها الله؛ من أين يأتي الأمر بالمعروف؛ إذن: مثل هذه القاعدة تُعتبر مبطلة لأصلٍ من أصول أهل السنة والجماعة.

قال: **(وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا)**

لأنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بطاعة الأمراء، فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}.

حتى وإن كان هؤلاء الأمراء فجرة، يعني أنّهم فساقٌ ظلمةٌ، حتى لو كانوا كذلك؛ فواجب علينا أن نطيعهم وأن لا نخرج عن كلمتهم؛ لأنّ الخروج على الحاكم يؤدي إلى مفاسد عظيمة ووخيمة من سفك للدماء وانتهاك للأعراض وتضييع للأموال وتشتيت للأمّة ولقوّتها وجعلها لُقمة سائغة لأعدائها؛ فهذه مفاسد كبيرة وعريضة، فمع وجود مفسدة ظلم الظالم من الحكام؛ إلّا أنّها لا تعتبر شيئاً أمام تلك المفاسد التي ذكرنا.

لذلك حثّ الشارع على السمع والطاعة لهم في طاعة الله وعدم الخروج عليهم.

ولمّا استشار الصحابةُ النبيَّ ﷺ فيمن كان هذا حاله، أمرهم بالصبر؛ فقال: "اصبروا حتى تلقوني على الحوض"، وفي حديث آخر لما استأذنوه في الخروج عليهم؛ قال: "لا، ماصلوا" أي: لا تخرجوا عليهم ما أقاموا فيكم الصلاة، وفي حديث آخر قال: "إلّا أن تروا كفراً بواحاً"، يعني: ظاهراً لا يخفى؛ إذن: هنا لا يجوز الخروج على الحاكم والواجب السمع والطاعة له، والواجب أيضاً إقامة الحجّ وإقامة الصلاة وإقامة الجهاد معه مادام أن هذا كلّه في طاعة الله تبارك وتعالى وليس في معصيته.

قال: **(وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ)**

يحافظون على إقامة الصلوات الخمس في جماعة؛ لأنّ النبي ﷺ أمر بذلك، فلمّا جاءه الأعمى قال له: "أتسمع النّداء؟" قال: نعم، قال: "إذن فأجب"، وكذلك توّعد الذين لا يحضرون صلاة الجماعات أن يُحرّق عليهم بيوتهم لولا الأطفال والنساء.

قال: **(وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ)**

لقول النبيّ ﷺ: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن يا رسول الله؟، قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

وما هي النصيحة؟ أن تبين الحقّ وأن توضحه وأن تبين للناس ما يصلحهم ويصلح لهم أمر دينهم، وأن تنصح للدين بأن تُبينه بحقٍّ كما جاء به النبي ﷺ، ومن النصيحة أن تُبين للناس الداعي إلى الخير والداعي إلى الشر، ومن النصيحة لسنّة النبي ﷺ أن تذبّ عنها وأن تدافع عنها وأن تظهرها وتنشرها بين الناس، وكذلك من النصيحة لكتاب الله أن تعلمه للناس وتبينه لهم وتعمل به- هذه من النصيحة لكتاب الله-، ومن النصيحة للأمراء أن تنصحهم بالسر دون أن تُهيّج عليهم الناس وأن تعمل ما يعينهم على طاعة الله تبارك وتعالى.

قال: **(وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا"، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ)**

يعني أنّه يوالي المؤمنُ المؤمنَ ويُحبّه ويُعينه ويُساعده، قال: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان"، انظر للبنيان، انظر للحجر كيف يُرَصُّ بجانب الحجر ويُبنى بعضه على بعض، فيقوم الحجر بالحجر الآخر، فلا يقوم للجدار قائمة إلّا بمجموع الحجارة، كلّها تتكاتف وتتعاون حتى يقوم هذا الجدار؛ وكذلك المؤمنون يعين بعضهم بعضاً ويُساعد بعضهم بعضاً ويُحب بعضهم بعضاً كما هو حال البنيان.

قال: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)**

(توادهم) يعني وجود المودة والمحبّة بينهم.

(وَتَرَاحُمِهِمْ) يرحم بعضهم بعضاً.

(وَتَعَاطُفِهِمْ) يعطف بعضهم على بعض.

(كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّى وَالسَّهَرِ) انظر إلى جسد الإنسان إذا مَرِض منه عضو من أعضائه؛ كلّ الجسد تصيبه الحمى ويصيبه السهر- عدم القدرة على النوم-.

فالمؤمنون ينبغي أن يكونوا هكذا، كالجسد الواحد، يُحب بعضهم بعضاً، ويرحم بعضهم بعضاً، ويعطف بعضهم على بعض.

فالحبّ والولاء يكون في الإسلام لا في غيره، الولاء والبراء في الإسلام لا في الإنسانية كما تدّعيه العلمانية، الله سبحانه وتعالى لمّا خلق الإنسان ردّه إلى أسفل سافلين، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..} فالإنسانية ليست بشيء، الإنسان إذا لم يكن مؤمناً مطيعاً لله تبارك وتعالى؛ فلا قيمة له، فالمحبّة والأخوة تكون بالإيمان، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} ولم يقل: إن الناس إخوة، قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} فإذن الحبّ والبغض يكون في الإيمان في دين الله تبارك وتعالى.

قال: **(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ)**

كما جاء في كتاب الله وفي سنّة رسول الله ﷺ، {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} فهم يأمر بعضهم بعضاً بالصّبر، عندما يموت شخص لآخر تأتيه وتقول له: اصبر واحتسب، تُصبّره، تأمره بالصّبر، {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ

الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} يُوصي بعضهم بعضاً بالصبر.

قال: **(وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ)**

أي: يوصي بعضهم بعضاً بالشكر عند الرخاء، عند المصائب تحتاج إلى الصبر وعند الرخاء تحتاج إلى الشكر.

وكيف يكون الشكر؟ يكون بالعمل بطاعة الله تبارك وتعالى، فإذا رزقك الله مالاً تشكر الله سبحانه وتعالى بأن تتصدق من هذا المال، وأن تنفقه في وجوه الخيرات والطاعات؛ هكذا يكون شكراً.

ومِن شُكر الله تبارك وتعالى أن تطيعه وأن تعبده، تشكر الله على ما أعطاك من عافية ومن صحّة ومن فراغ، فتعبد الله سبحانه وتعالى وتطيعه، هكذا يكون الشكر، {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} الشكر يكون بالعمل وليس فقط بالقول.

قال: **(وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ)**

الرضا أعلى من الصّبر، الصّبر واجب عند المصائب، والرِّضا مستحب؛ الرضا درجة عالية رفيعة.

و(مُرّ القضاء): هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان، فيكون مريراً عليه، صعباً، فيرضى به ويُسلم؛ فيكون في المقامات العالية.

قال: **(وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ)**

(مكارم الأخلاق) هي الطّيب من الخُلق، وحثّ الشارع على الخلق الحسن، التخلق بالأخلاق الحسنة، يتخلّق الإنسان بالأخلاق الحميدة المحبوبة.

و(محاسن الأعمال) أي: الأعمال الحسنة، والأعمال الحسنة هذه تكون حسنة إذا كانت على وفق الكتاب والسنة وما شرع الله تبارك وتعالى.

قال: (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)

هذا حثّ على محاسن الأخلاق.

قال: (وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ)

أي: يدعون ويحثون على صلة الرحم وإن قطعك صاحب الرحم.

قال: (وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ)

أي: من منعك.

قال: (وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)

تعفو عن الظالم الذي اعتدى عليك، لكن هذا ليس دائماً، إذا علمت أنّ الظالم هذا مسترسل في ظلمه ومُكثر من ذلك وليس له رادع يردعه؛ عندئذ لا يُستحسن منك أن تعفو عنه، لا بد من القضاء على ظلمه؛ فلذلك لا تعفو عنه، بل يُعاقب؛ علّه يرتدع.

لكنّ الأصل بينك وبين المسلمين أن يكون بينكم عفو وتسامح، قال النبي ﷺ: "ما زاد الله عبداً بعفو إلّا عزاً".

قال: (وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ)

كما أمر الله تبارك وتعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

قال: (وصِلَةِ الأَرْحَامِ)

أي: يأمرون أيضاً بصلة الأرحام؛ كما دلّت على ذلك الأدلة الكثيرة، منها قوله ﷺ: "لا يدخل الجنّة قاطع رحم".

قال: (وَحُسْنِ الْجِوَارِ)

كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "لازال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه".

قال: (وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)

اليتامى: جمع يتيم، واليتيم: هو الذي مات أبوه ولم يبلغ.

(والمساكين) إذا ذُكرت وحدها هكذا هي بمعنى الفقير، وهو الذي لا يملك كفايته.

قال: (وَابْنِ السَّبِيلِ)

يعني: المسافر الذي انقطعت به السبل.

قال: (وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ)

يعني: العبد الذي يُملَك؛ يوصينا بالرفق به، وذلك بأن تُطعمه إذا طعمت وأن تكسوه إذا اكتسيت ولا تكلفه من العمل مالا يطيق كما جاء في حديث عن النبي ﷺ.

قال: (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ)

(الفخر): أن يتفاخر الإنسان على غيره، (والخيلاء): أن يختال في مشيته وفي وجهه وما شابه، وكلّها فيها معنى الكبر، (والبغي): يعني التطاول على الغير والعدوان عليهم.

قال: (وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)

كذلك التطاول.

قال: (وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفاسِفِهَا)

(يأمرون بمعالي الأخلاق) يعني: الأخلاق العالية الرفيعة؛ كالصدق والعفاف وأداء الأمانة وما شابه، (وينهون عن سفاسفها): يعني الدنيء منها.

قال: (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)

كلّ هذا قد جاء في الكتاب والسنّة.

قال: (وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتُهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّار إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي"؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)

يعني: لمّا حصل الافتراق والاختلاف؛ صار لابدّ من التميز ما بين أهل السنة وأهل البدع والضلال، وهذا التميز أمره مهم وضروري جداً؛ إذ بتميز أهل الحقّ من الباطل يبقى الحقّ ظاهراً ويبقى الباطل معروفاً؛ لذلك أهل السنة والجماعة تميزوا عن أهل الباطل بأن سُمّوا أهل السنة والجماعة.

فعندما خرجت هذه الفرق صارت كلّها تتسمى بالإسلام، فكلّهم من المسلمين، لكن لا بدّ من التميز والاختلاف ما بين الحقّ والباطل، فلذلك سُمي أهل السنّة بأهل السنّة والجماعة، ولمّا صار أصحاب تلك الفرق والطوائف يدّعون أنّهم من أهل السنّة والجماعة؛ احتجنا إلى التسمي بالسلفية.

لماذا هم يدّعون هذا؟

لأنّ الشوّكة عادة والقوّة والظهور تكون لأهل الحقّ، فيُصبح أصحاب الاسم هم الظاهرون ودعوتهم هي المقبولة عند الناس؛ فيدخل فيها عادة من أهل البدع والضلال من يحاول أن يتلبس بهذا الاسم من أجل أن يسحب الناس إلى ناحيته- وهذه عادتهم-.

فدخل في هذا الاسم من ليس منه فاحتجنا بعد ذلك إلى التسمي بالسلفية؛ للتفريق بين من يدّعي دعوة دخوله إلى أهل السنة والجماعة، ومن هم بحقّ من أهل السنة والجماعة.

فأهل السنة والجماعة هم الذين كانوا على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، ومن لم يكن كذلك؛ فلا، والآن صار يدخل في السلفية ويدعيها من ليس من أهلها، كما فعلوا في اسم أهل السنة والجماعة؛ فعلوا الآن في اسم السلفية؛ لذلك لا بدّ من التميز ولابد من بيان المحقّ من المبطل بتسمية الطوائف والفرق والجماعات بأسمائها الحقيقية.

قال: **(وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ)**

الصِدّيق: هو الذي يصدق في إيمانه وفي طاعته ويكون قريباً من الله تبارك وتعالى، فهو صادق في اعتقاده، صادق في قوله، صادق في فعله، مُخلص لله تبارك وتعالى؛ وهذه الدرجة- درجة الصدّيق- هي أعلى درجة بعد درجة النبوة، يأتي الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء بعد ذلك؛ كما قال النبي ﷺ: "عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، ولا يزال الرّجل يصدق ويتحرى الصّدق حتى يُكتب عند الله صديقاً"؛ الصدق في كلّ شيء.

قال: **(وَالشُّهَدَاءِ)**

الشهداء: جمع شهيد، وهو قتيل المعركة، وقد اختلف العلماء: هل العلماء أفضل من الشهداء أم الشهداء أفضل من العلماء؟

والظاهر: أنّ العلماء الصديقون أفضل من الشهداء.

قال: **(وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ)**

الصالح ضد الفاسد؛ وهو الذي قام بحقّ الله وحقّ عباده.

قال: **(وَمِنْهُمُ أَعْلامُ الْهُدَى)**

أصل العَلَم هو الجبل، وسُمي الجبل عَلَماً؛ لأنه يُهتدى به، فإذا أردت أن تصف لشخص طريقاً تقول له: عند الجبل الفلاني؛ لأنه مرتفع ويراه الجميع، فسُمي عَلَماً، فأعلام الهدى أي: الذين هم منارات للطريق الحق.

قال: **(وَمَصَابِيحُ الدُّجَى)**

الدّجى: هو الظّلمة؛ فهم مصابيح يُنيرون للناس الطريق المظلمة ويبينون لهم طريق الحقّ.

قال: **(أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ والْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ)**

أولوا المناقب: يعني أصحاب المناقب، والمنقبة: هي المرتبة، والفضائل: من الفضيلة، يعني الصفة الحسنة التي يتصف بها الإنسان كالعلم والزهد وما شابه.
و(أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ) يعني التي وجدت منهم.

قال: **(وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ)**

الأبدال: هؤلاء هم قوم من العُبّاد؛ أناس لهم عبادة عظيمة، لكن وردت فيهم أحاديث لا يصحّ منها شيءٌ؛ فأحاديثهم ضعيفة.

قال: (وَفِيهِمُ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ)

(على هدايتهم): أنّهم على طريق الحقّ، (ودرايتهم): معرفتهم بالحقّ كأئمة الإسلام: الإمام مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك، ومن بعدهم كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعليّ بن المديني، ومن بعدهم كابن خزيمة وما شابه كابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب، ومن تبع هؤلاء كمحمد بن عبد الوهاب وكثير من أحفاده وإخوانه من العلماء، ومن بعدهم كأئمة الهدى اليوم: ابن باز رحمه الله والعثيمين والألباني والوادعي والشيخ صالح الفوزان وغيرهم من علماء الأمة؛ هؤلاء من نظر في عقائدهم وعبادتهم ودينهم؛ وجد أنّهم على الطريق وعلى الهدى، نعم لا يمنع ذلك من وجود أخطاء؛ فهم بشرٌ؛ لكن هم بالجملة على الجادة وعلى الطريق المستقيم.

قال: (وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ)

لقوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي على الحقّ لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله"، قال الإمام البخاري: (هم أهل العلم)، وفي كتابه: "خلق أفعال العباد" عندما ذكر من هم أهل العلم ذكر أهل الحديث، الأئمة الذين ذكرنا منهم: مالك والشافعي وأحمد وعليّ بن المديني ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم، كلّهم أئمة الحديث في وقته، أئمة أهل السنة والجماعة في وقتهم، هؤلاء أهل العلم الذين ذكرهم الإمام البخاري رحمه الله.

إذن: لابد أن يجتمع فيهم وصفان:

وصف العلم، ووصف السنة- التمسك بالسنة-؛ أن يُعرفوا بها ويشتهروا بها، هؤلاء هم المقصودون بالطائفة المنصورة، ومن اتبعهم وسار على نهجهم؛ هو معهم أيضاً.

قال: **(الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظاهرين)**

هم باقون على الحقّ ثابتون عليه ظاهرون به مُظْهِرون له.

قال: **(لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ)**

إذن: هناك مُخَذِّلون، خاذلون لهم، يخذلونهم، بدل أن يُعينوهم ويساعدوهم على الحقّ الذي هم عليه؛ لكنهم لا يضرونهم شيئاً؛ لأنّ النبي ﷺ قال: "لا يضرهم من خذلهم".

قال: **(ولا مَنْ خالَفَهُمْ)**

من أهل البدع والضلال الذين يحاربونهم ليل نهار؛ لا يضرونهم.

قال: **(حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)**

إلى قرب قيام الساعة؛ فقد جاء في حديث آخر: أنّ الساعة لا تقوم إلّا على شرار الخلق؛ إذن: فهم عند قيام الساعة لا يكونون، والصحيح أنّ قوله: "حتى تقوم الساعة"، أي: حتى يقْرُب قيام الساعة، وعندما تأتي تلك الريح الطيبة وتأخذ أرواح المؤمنين جميعاً ينتهي وجودهم في تلك اللحظة، ثم بعد ذلك تقوم الساعة على شرار الخلق كما جاء في الحديث.

قال: **(فَنَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا)**

آمين.

(وألا يُزيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا) يعني: أن لا يضلنا عن طريق الحق بعد أن بينه لنا وسيرنا عليه.

قال: **(وَأَنْ يهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً)**

أي: يعطينا رحمة من عِنده ويمُنّ علينا بها.

قال: **(إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا)**

والحمد لله ربّ العالمين.